المحاضرة الحادية عشرة .
كلية العلوم الإسلامية – قسم التفسير وعلوم القرآن
اسم المحاضر : أ.د.أحمد قاسم عبد الرحمن
المرحلة : الدراسات العليا - الماجستير
اسم المادة انكليزي :
اسم المادة عربي : اتجاهات التفسير في العصر الحديث
اسم المحاضرة انكليزي :
اسم المحاضرة بالعربي : الشيخ محمد عبده ومنهجه في التفسير .
مصدر أو مصادر المحاضرة : جهود العلماء الكرد في التفسير في العصر الحديث – أ.د. أحمد قاسم عبد الرَّحمن .

الشيخ محمد عبده ومنهجه في التفسير

(لم يكن التجديد الذي نادى به الإمام محمد عبده هدماً للماضي ، ولا قضاء على التراث ، بل كان جمعاً بين الأصالة والمعاصرة ، وكان توظيفاً للتراث في خدمة العصر ، وإخضاع ظواهر العصر الحديثة إلى أحكام الشريعة الغراء . وإيماناً من الشيخ محمد عبده بأن التجديد لا ينبع إلا من عقيدة راسخة تؤمن أن فيه صلاحاً للأمة ، ولى وجهه شطر التجديد الديني أولاً وتمثل هذا في اتجاهه إلى إصلاح الأزهر الشريف والعناية بالتعليم الديني ؛ لأنه أساس بناء الأمة ، وفي ضوء التوجيهات الدينية يمكن صياغة شخصية الأمة .

وكانت غيرته على الإسلام تدفعه إلى الدفاع عنه وبيان أنه دين يدعو إلى النظر والاعتبار ، وكشف ما في الكون من أسرار ، وكثيراً ما ركز في كتاباته على دعوة الإسلام إلى العلم وبيان أنه لا توجد خصومة بين الدين والعلم الحديث ، بل بالعكس فان الإسلام يدعو إلى التجديد والى إعداد القوة بكل أشكالها وبما يتناسب مع كل عصر وزمان .

بنى الإمام محمد عبده دعوته إلى التجديد على الأسس الآتية :

١) التخلي عن رذائل الجهل والتقليد والخرافات .

٢) التحلي بالعلم واحترام العقل والتفكير .

٣) الجمع بين الأصالة والمعاصرة ، وأنه لا خصومة بين الدين والعلم والتجديد) [١] .

(إن دعوة الإمام محمد عبده إلى التجديد والمعاصرة والإصلاح ، تقوم على الجمع بين الأصالة والمعاصرة ، لأنها تعتمد على أسس وتعاليم الإسلام ، حتى لا يكون هناك إفراط في مجال التجديد وتحكيم العقل فيحدث انفلات من

---

[١]) التراث التفسيري للقرآن بين الأصالة والمعاصرة – الدكتور عودة عبد عودة عبد الله : ٩ .

تعاليم الدين . وفي الوقت نفسه لا ينبغي أن يراوح الناس مكـــانهم ، ويظلـــون كما هم دون تقدم أو تطوير أو تجديد .

والدين بنصوصه هو الحكم في كل الأحوال ، بحيث لا يحدث شطط أو إفراط أو تفريط) [٢] .

ومع ما للدعوة إلى التجديد من ايجابيات ، فان فيها بعض السلبيات ، وقد وقع بعض العلماء والمفكرين والمجددين ، أمثال الشيخ محمد عبده ، وغيـــره في بعض السلبيات لأنهم بشر غير معصومين ، ومع احترامنا وتقديرنا للأستاذ الإمام محمد عبده رحمه الله ، وما أسداهُ للفكر الإسلامي من أيادٍ ، فلا يمنعنـــا هذا أن نعترض على بعض الشطحات التي وقع فيها ، لأن كل إنسان يؤخذ من رأيه ويرد إلا المصطفى صلى الله عليه وسلم .

(ولعل كثيراً مما وقع به محمد عبده من شطحات يعود لإعطـــاء العقـــل حرية واسعة في فهم النص ، ولو كان ذلك على حساب صحيح المأثور ، فلجأ في بعض الأحيان إلى تأويلات غريبة للنص القرآني ، كان الأجدر به أن ينزه قلمه عنها) [٣] .

من هذا يتبين لنا أن الأستاذ الإمام محمد عبده رحمه الله يُعد رائـــداً للمدرســـة العقلية الاجتماعية في التفسير ، فقد كان هو الرائد وهو القائد لهـــذه المدرســـة المجددة في ميدان التفسير ، ويقوم المنهج التفسيري لهذه المدرسة على أســـس عدة سوف أذكرها في هذه النقاط الآتية :

(الأساس الأول : الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم .

وقد أيد كثير من علماء السلف الوحدة الموضوعية في القرآن الكـــريم ، ومنهم ابن العربي ، قال : { ارتباط آي القرآن بعضها بـــبعض حتـــى تكـــون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني علم عظيم } [٤] .....

---

[٢]) المصدر نفسه : ٩ .

[٣]) المصدر السابق : ١٠ .

[٤]) الإتقان في علوم القرآن – الإمام جلال الدين السيوطي ٢ / ١٠٨ ، والبرهان في علوم القرآن – الإمام الزركشي ١ / ٣٦ .

ومال رجال المدرسة العقلية الاجتماعية إلى هذا الرأي ، فقالوا بالوحدة الموضوعية في سور القرآن الكريم وعدوه أساساً في فهم القرآن الكريم) [٥] .

(الأساس الثاني : الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية :

وهو كالأساس الذي قبله من الأسس الواضحة في منهج المدرسة العقلية الاجتماعية في التفسير ، وقد وقف العلماء السابقون منه موقفهم من سابقه أيضاً بين منكر ومؤيد .

طائفة قالت بالتناسب بين آيات القرآن الكريم وتناسقها ومنهم الشيخ ولي الدين الملوي ..... وقال بالمناسبة أيضاً الإمام الشاطبي [٦] ، والإمام السيوطي[٧] وغيرهم .

وذهبت طائفة أخرى إلى أن القرآن الكريم لم يأت على نسق الكتب الموضوعية ، إذ ليست له مقدمة ، وليست فيه مباحث موضوعية .. مرتبة .. لها مقاصد وأغراض في فصول وأبواب ، وإنما كان القرآن مشتملاً على عدة سور ، كل سورة منه احتوت على آيات متعددة ، كل آية في غرض . فهذه للوعظ ، وتلك للزجر ، وهذه قصة أخرى لحكم من الأحكام ، وأخرى لوصف الجنة أو النار) [٨] .

(الأساس الثالث : تحكيم العقل في التفسير :

لا ينكر صاحب لب ما للعقل من قيمة وما له من مكانة كبيرة في الحياة عامة ، ولا ينكر صاحب فهم وعلم ماله من قيمة ومكانة في الإسلام أيضاً

---

[٥]) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر – الأستاذ الدكتور فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي ٢ / ٧١٨ .

[٦]) ينظر : الموافقات في أصول الشريعة – الإمام الشاطبي ٤ / ٤١٤ – ٤١٥ .

[٧]) ينظر : الإتقان في علوم القرآن – الإمام جلال الدين السيوطي ٢ / ١١٠ .

[٨]) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر – الأستاذ الدكتور فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي ٢ / ٧٢٤ – ٧٢٥ .

تشهد لذلك النصوص العديدة والآثار البارزة والعلامات البينة كلها تدل عليه ، وتشير إليه)[٩] .

والأستاذ الإمام محمد عبده رحمه الله يعد أصول الإسلام ، فيعد الأول والثاني منها النظر العقلي وتقديم العقل على ظاهر الشرع عند التعارض حيث يقول :

(الأصل الأول للإسلام النظر العقلي لتحصيل العلم . فأول أساس وضع عليه الإسلام هو النظر العقلي . والنظر عنده هو وسيلة الإيمان الصحيح فقد أقامك منه على سبيل الحجة وقاضاك إلى العقل ، ومن قاضاك إلى حاكم فقد أذعن إلى سلطته ، فكيف يمكنه بعد ذلك أن يجور أو يثور عليه ؟) [١٠] .

(الأساس الرابع : إنكار التقليد وذمه والتحذير منه .

وهو أساس متولد – كما ذكرنا – من سابقه ، ويطلق التقليد ويراد به في عرف الفقهاء : { قبول قول الغير من غير حجة } ولا يسمى الأخذ بالكتاب أو السنة أو الإجماع تقليداً ؛ لأن ذلك هو الحجة في نفسه .

ولا يخفى أمر الاجتهاد والتقليد في عمومه ، وقد حدثت بين المسلمين حوادث تحز في نفس المسلم من عبارات مؤيدي الاجتهاد أو أنصار التقليد ، وما أدى التطرف بطائفة من هؤلاء وأخرى من أولئك إلى أقوال وأفعال لا تحمد ، وليس بحثنا هنا بحثاً أصولياً نعرض فيه أقوال هؤلاء وهؤلاء ، ولكنه بيان لموقف رجال المدرسة العقلية الاجتماعية في التفسير .

وهو موقف تلحظه في كل سطر ، بل في كل كلمة من كلماتهم ، يرفضون التقليد وينكرونه ، ويذمون أصحابه ، وينعون عليهم فعلهم .

---

[٩]) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر – الأستاذ الدكتور فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي ٢ / ٧٢٨ .

[١٠]) الإسلام والنصرانية – الأستاذ الإمام محمد عبده ٧٢ – ٧٣ ، واتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر – الأستاذ الدكتور فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي ٢ / ٧٣٠ .

وهذا الأستاذ الإمام محمد عبده أستاذ المدرسة ورائدها ، جعل تحرير الفكر من قيد التقليد أول أمر دعا إليه) [١١] .

الأساس الخامس : التقليل من شأن التفسير بالمأثور :

من المعلوم أن التفسير بالمأثور يشمل أنواعاً أربعة ، وهي :

١ – تفسير القرآن بالقرآن .

٢ – تفسير القرآن بالسنة النبوية .

٣ – تفسير القرآن بأقوال الصحابة رضي الله عنهم .

٤ – تفسير القرآن بأقوال التابعين .

(وقد درج علماء المدرسة العقلية الاجتماعية على التقليل من شأن التفسير بالمأثور والتشكيك فيه وعدم الاحتجاج به ، وان كانوا يظهرون قبوله واعتباره) [١٢] .

---

[١١]) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر – الأستاذ الدكتور فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي ٢ / ٧٣٨ .

[١٢]) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر – الأستاذ الدكتور فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي ٢ / ٧٤٣ .